الاستاذ يوسف نصار

نجيب زهر قامة وطنية إغترابية بحجم الجنوب..

ومن يكن بحجم الجنوب بوطنيته وإنتمائه لأرضه وشعبه مسكوناً بقضايا وطنه المدمى، وطنه المأزوم والمنهوب والمشظى، من يكن بهذا الحجم تصغر أمام ناظريه في حضوره وأمام جلل غيابه الحروف والكلمات، ويعجز الكلام عن الوفاء كل الوفاء لما كان يتمتع به هذا الإنسان الذي يتمسك بإنسانيته كاملة بمعانيها، بمظاهرها، بمضامينها، بكل مكوناتها الأخلاقية والقيمية. فتزهد أمامه الأشياء ولا يكترث للغالي والنفيس من مباهجها ومتاعها وتقترن حياته اليومية الخاصة والعامة بالتواضع والصدق والهدوء والإبتسام والكرم والعطاء واللامحدود.

نجيب زهر، أيها المسافر فينا ومنَّا نذرت نفسك في الإغتراب في بلاد الـ"كوت ديفوار" لخدمة الناس، كل الناس لبنانيين وإيفواريين (وطنيين).

ومنذ الستينات من القرن الماضي، كان دأبك عمل الخير موصوفاً بالصدق والأمانة في أعمالك وجهودك على مدار ستين عاماً، وأحرزت في حياتك الإغترابية في وطنك الثاني الـ "كوت ديفوار" رصيداً كبيراً من المحبة والثقة والخدمات الإجتماعية والعمرانية والتربوية والإنسانية في شتى الميادين التي عملت بها وجاهدت نعم الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الجالية اللبنانية وصون كرامتها وسمعتها بين الوطنيين الأفارقة في أكثر من دولة في أفريقيا الغربية.

نجيب زهر، رحلت عنا إلى جوار ربك الرحيم تاركاً وراءك من إرثك الكثير، من أخلاقك الكرم الوفير، ومن تواضعك ومحبتك لمن حولك وعي الضمير.

أيها المبتسم دائماً صاحب القلب الكبير، أبارك لك ما كنت فيه مقداماً شامخاً.

لن أرثيك بل أرثي بلدي الأسير..

أيها المجاهدون في أصقاع الأرض، المغتربون المقاومون من أجل حياة حرة وكريمة، أنتم يا من تذرفون الدمع على وطنكم وأهلكم واخوانكم لما يعانون في وطننا الأم، من يكرمكم في بلدكم، من يعترف لكم ما قضيتم من زهرة شبابكم أنتم وأبناءكم في بلاد الإغتراب، من يحفظ لكم حقوقكم، وتعبكم وحسرة الفراق والبعد عن الأهل والأصحاب؟!!

من يعيد لكم أموالكم التي نهبت وذهبت لا يعلم مصيرها إلاَّ الله والراسخون في الفساد والنهب؟!!

كيف ينظر إليكم على أنكم البقرة الحلوب التي تأتي باللبن والعسل المصفى؟!!

وهل بحسب حسابكم على مر السنين وأنتم تدعمون الوطن والأهل والأخوة في بلدكم الأم، هل حسبوا حسابكم في الإنتخابات أو أعترفوا لكم بجميل عطائكم؟!!

من بنى لبنان غيركم، من حول القرى المنسية والأرياف إلى حدائق وجنائن وعمران؟!!

هل سمح لكم في الوطن بإستثمار أموالكم وجنى عمركم؟!!ولكنها ذهبت مع الريح..

لماذا أستبيحت حقوقكم وتبخرّ جنى عمركم وذرفتم الدم والدمع وعرق الجبين لتحسين أوضاعكم ولا زلتم أوفياء متمسكين ببلدكم الأم لبنان.

أذكر بعضاً من معرفتي وتجربتي مع الحاج نجيب زهر – رحمه الله – في أبيدجان (عاصمة الكوت ديفوار) بين عامي (1978 و1990) أثنتا عشر سنة.

وما عرفته عنه في هذه الحقبة من الزمن وقد كان رئيس الدولة المغفور له المرحوم (فيليكس أفوي بوانييه) رئيس جمهورية الكوت ديفوار الذي لقب بحكيم أفريقيا.(Sage D,Afrique)

وكان يعتبر الأب الرؤوف للجالية اللبنانية بأكملها ويعتبر الحاج نجيب زهر بموقع إبنه المدلل.

وقد عمل الحاج نجيب زهر مع شركات ومؤسسات عمرانية وسياحية على تحويل بلدة ياموسوكرو مسقط رأس الرئيس بوانييه، من بلدة عادية إلى عاصمة سياحية ودبلوماسية، بإنشاء البحيرات والأوتيلات والمدارس والجامعات والأبنية حتى أصبحت المدينة العاصمة الجميلة للكوت ديفوار. وبقي الحاج نجيب فيها مركز عمله، وقد وهب لأهلها في الأرياف بناء المدارس

والمستوصفات والبنى التحتية من طرقات وسدود، وكانت تقدم مجاناً لأهل الريف بإسم الجالية اللبنانية في الكوت ديفوار، وهي معظمها على نفقته الخاصة.

والذي أذكره أيضاً: أنه في عام 1975، بداية الحرب الأهلية في لبنان (تتذكر وما تنعاد هذه الحرب). أنه عندما أحتدمت الحرب وبدأ القتل على الهوية هاجر عدد لا يستهان به من الأخوة اللبنانيين من الضاحية الجنوبية وبيروت والجنوب وقد سمح حينها الرئيس بوانييه بدخول اللبنانيين إلى مطار العاصمة أبيدجان بدون فيزا، (نظراً لحبه ومودته للجالية اللبنانية والتي كان مفتاحها الذهبي الحاج نجيب زهر وعلاقته الوطيدة والودية للرئيس.

ولم يكتف الحاج نجيب زهر بذلك، فسافر على نفقته ونفقة زملائه في الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم أمثال المرحومين الحاج حسن حمقة، إبراهيم بارود، أحمد طرابلسي، عاطف عميص، مصباح ظاهر وقاسم ظاهر، الدكتورة دينا فياض طعان.

تم حجز أوتيل (الترمينيس) في حي التريجفيل لصاحبه المرحوم الحاج حسن حمقة، تم حجزه بالكامل ليقطن به اللبنانيين الهاربين من الوطن أيام الحرب. (في المأكل والنوم والمصاريف)، حتى يتم بعدها تدبير أشغال وعمل لهم في ميادين عدة.

والذي أتذكره أيضاً من العلامات الفارقة والدامغة التي عايشناها في تلك الحقبة، أن العلاقة المميزة والحميمة بين الرئيس أوفوي بوانييه والحاج نجيب زهر جعلت من رئيس الدولة أن يكون في أدبيات بعض الوزراء والنواب الإيفواريين متهماً بدفاعه وقربه من الوجود اللبناني آنذاك الذي ضاهى المئة ألف لبناني على مساحة الدولة الإيفوارية بكاملها. حيث كان ولا يزال الإنتشار اللبناني في جميع المدن والأرياف. وعملوا ولا زالوا في شتى الميادين الإقتصادية: زراعة، صناعة، تجارة، بناء ومقاولات وشركات، مدارس، مستشفيات، فنادق، ومهن حرة على أختلافها.

لم أبالغ إن قلت أن – رحمه الله – الحاج نجيب زهر طيلة حياته الإغترابية قد وضع المداميك والأسس الإنسانية والحقوقية للوجود اللبناني في دولة الكوت ديفوار، هذا الوجود الموزع بإنتماءاته المناطقية والعقائدية والطائفية والمذهبية، حيث كان شعاره – رحمه الله – أننا في وطننا الغالي لبنان وإن البسونا قمصاناً حمراء وصفراء وخضراء وزرقاء وبيضاء، نظيفة أو

ملوثة ولكننا في بلدنا الثاني الذي حضننا وفتح لنا أبوابه وميادين العمل فيه علينا أن نلبس جميعنا قمصاناً موحدة الإنتماء واللون وهي إلتزام القوانين والإعتراف بجميل الضيافة والكرم الأفريقي، والمحافظة على الوئام وحسن التعامل الأخلاقي والإنساني والإجتماعي مع الوطنيين الأفارقة، وأن لا ننقل إلى الدولة المضيفة مشاكلنا وتفسخنا وفسادنا في بلدنا الأم. وخاصة أن هذه العاهات والكوارث هي التي أجبرتنا أن نترك وطننا ونهاجر. لذلك كان دائماً – رحمه الله – يوصي الجالية بالسلوك السوي والأخلاق وحسن المعاملة وإحترام القوانين والتعاون فيما بيننا لما فيه خير الوطن المقيم والبلد المضيف.

يعني وبإختصار: (علينا أن نخلع عن جسمنا القميص الملوث بكل الأدران السياسية والأخلاقية والطائفية ونلبس في المغترب القميص النظيف.. والناصع البياض).

وبالختام فقيدنا الغالي المرحوم الحاج نجيب زهر، نفتقدك على قدر محبتنا لك وإيماننا بمكارم أخلاقك وعطاءاتك على أكثر من صعيد، أملنا كبير على الإغتراب اللبناني في أفريقيا وكل أصقاع العالم، أن يعوضنا هذه الخسارة الوطنية الإغترابية، بوحدة الإنتماء للوطن، كل الوطن، ووحدة الموقف والسمعة الحميدة للبنان الإغترابي النظيف الطيب والكريم والموحد، وبفضل الأيادي الإغترابية البيضاء ستنقشع تلك الغيوم السوداء الملبدة في سماء وطننا الحبيب لبنان وتذهب آلة الفساد وأهل الفساد والمفسدين إلى غير رجعة.